مجلة المختار للعلوم الإنسانية 14 (1): 33-50، 2011

Research Article

Open Access

الليبيون في مصر ودورهم الاجتماعي 1700-1800 م

سليم رجب محمد

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمر المختار – البيضاء

Doi: https://doi.org/10.54172/0e5fh516

المستخلص : الدراسة تسلط الضوء على تواجد الجالية الليبية في مصر منذ العصر الإسلامي، حيث شكلت جزءًا هامًا من تاريخ مصر. بدأت الهجرة الليبية بشكل فردي وتطورت لتشمل الأسر عند تحسن الظروف. أطلق عليهم المصريون اسم "العرب المغاربة". تركز الدراسة على القرن الثامن عشر، مع التركيز على تسجيل الممتلكات والتعاملات، ودور التجار الليبيين في الحركة التجارية المصرية. يتعامل البحث مع التطورات الاقتصادية والتجارية في سياق اجتماعي وثقافي. تقسم الدراسة إلى أربعة محاور تتناول التمهيد وأسباب تواجد العائلات الليبية، وتعريف بالبيوتات التجارية، والأماكن التي استوطنت فيها القبائل الليبية في مصر، وانتشار العادات والتقاليد الليبية في المجتمع المصري. يظهر البحث العلاقات الاجتماعية بين ليبيا ومصر خلال القرن الثامن عشر، مع التركيز على التبادلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين البلدين.

الكلمات المفتاحية: الجالية الليبية، العصر الإسلامي، العرب المغاربة، البيوتات التجارية، المجتمع المصري.

Libyans in Egypt and their Social Role 1700-1800 AD

Salim Rajab Muhammad

Department of History, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University - Al-Bayda

Abstract: The study highlights the presence of the Libyan community in Egypt since the Islamic era, as it formed an important part of Egypt's history. Libyan migration began individually and evolved to include families when conditions improved. The Egyptians called them "Moroccan Arabs." The study focuses on the eighteenth century, with an emphasis on the recording of property and transactions, and the role of Libyan merchants in the Egyptian commercial movement. The research deals with economic and business developments in a social and cultural context. The study is divided into four axes, dealing with the introduction and reasons for the presence of Libyan families, an introduction to commercial houses, the places where Libyan tribes settled in Egypt, and the spread of Libyan customs and traditions in Egyptian society. The research shows the social relations between Libya and Egypt during the eighteenth century, focusing on the social, economic and cultural exchanges between the two countries.

Keywords: Libyan community, Islamic era, Moroccan Arabs, commercial houses, Egyptian society.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

التمهيد

يرى الباحثون والمؤرخون أنه لا توجد معلومات دقيقة حول بداية تواجد الجالية الليبية في مصر تحديداً إلا أنهم أقروا إنها وجدت منذ العهد الإسلامي باعتبارها إحدى الجاليات المهمة والتي كان لها دورها في تاريخ مصر والذي إمتد إلى ربوع أغلب المدن المصرية، حيث تواجد الليبيون في مصر يرجع إلى فترات تاريخية تمتد من العصر المملوكي حيث كان مجيئهم في البداية على هيئة هجرات فردية في بادئ الأمر فكان الفرد يدخل إلى مصر ويبقى قسم أخر مقيماً في القرية أو في المدينة التي هاجر منها حتى إذا تحسنت الظروف وتحسنت معها فرص النجاح أمام المهاجر استقدم أسرته أو احد من أفرادها وقد أطلق المصريون على هذه الجالية العرب المغاربة باعتبارهم من مناطق المغرب العربي ولتمييزهم عمن سواهم من الطوائف الأخرى كالشوام واليمنيين والأتراك والحجازيين وغيرهم والموجودة هي الأخرى في مصر.

وتأتي أهمية هذه الدراسة إلى ظروف علمية وثائقية بالدرجة الأولى حيث تردد الليبيون بصورة واسعة على المحاكم الشرعية ربما بسبب كونهم من الوافدين فقد حرصوا على تسجيل أملاكهم وتعاملاتهم لتأكيد هويتم والمحافظة على ممتلكاتهم، وهذا الأمر قد وفر المادة العلمية لهذه الدراسة، وينبغي الإشارة إلى أن وضع إطار زمني لهذه الدراسة وهو القرن الثامن عشر تحديداً كان له أسبابه والتي تكمن في تطور العلاقات التجارية وظهور ما يعرف بالرأسمالية التجارية في مصر من خلال الشخصيات البارزة في الأسر التجارية الليبية مما ساعدنا على وضع التغيرات الاقتصادية في سياق اجتماعي وثقافي بدلاً من دراستها كظاهرة مجردة منعزلة عن أي سياق محدد .

وقْد قسم البحث إلى عدة محاور مهمة أولها التمهيد وأسباب التواجد للعائلات الليبية خلال القرن الثامن عشر بالإضافة إلى تعريف ببعض البيوتات التجارية ودور كبار التجار الليبيين في الحركة التجارية المصرية بصورة عامة وأساليبهم لتكوين الثروات بالاتجاه للاتجار في السلع والبضائع المختلفة التي تحقق أرباح عالية كالتوابل والأقمشة القطنية وغيرها من السلع.

أما المحور الثاني فقد ركز على الأماكن التي أقامت فيها القبائل الليبية وأهم القبائل التي استوطنت مصر ودورهم على الصعيدين الإيجابي والسلبي التي استقروا فيها وأخيراً انتشار العادات و التقاليد الليبية في الأوساط المصرية من ألبسة وأطعمة وغيرها .

وفي النهاية فإن البحث عبارة عن لمحة من تاريخ العلاقات الاجتماعية بين البلدين خلال القرن المذكور لاسيما وأن حركة الانتقال بين هاتين الجارتين لم تنقطع أو تتوقف بل ستظل تتبع مسارها في الأخذ والعطاء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

أولاً :أسباب هجرة الليبيين إلى مصر

1700 – 1800م

تعددت وتنوعت الأسباب التي دفعت الليبيين للهجرة إلى مصر، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نغفل الدور الهام الذي لعبه الليبيون خلال تواجدهم في النواحي المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

ففي الواقع إن حركة هذا الانتقال[1] كانت له أسبابه الدافعة إليه فبعض الهجرات كان يقوم بها الإنسان قسراً لا طوعاً هرباً من عائلة أو ظلم أو عدم الاستقرار في الوضعية السياسية فمثلاً نجد على سبيل المثال قادر علي محمد المعروف "بشائب العين" والذي حكم طرابلس الغرب قد اتجه إلى مصر بعد أن خلعه الجيش في طرابلس عام 1701م وتكررت هذه الظاهرة مرة أخرى عندما أعلن القائدان إبراهيم التريانى وعلي الأدغم الثورة على والي طرابلس أحمد القرة مانيلي 1112 هـ/ 1719م وزحف القائدان على تاجوراء، إلا أن أحمد باشا تمكن من التصدي لهما فهرب الأدغم إلى مصر ولاذا الثاني بالصحراء[2].

---

[1] ليلى الصباغ، الوجود المغربي في المشرق المتوسطي، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7-8 ، 1977، ص78.

[2] محمد مصطفى بازامة، بنغازي عبر التاريخ، ج1، دار ليبيا للتوزيع والنشر والإعلان، بنغازي، ليبيا، 1968، ص264.

ومن أسباب الهجرات أيضاً تضاؤل وضعف الدور العسكري للفرق العثمانية المعروفة بالأوجاقات[1] وكذلك المماليك[2] فهما الفئة الثانية بعد الوالي التي تشكلت منها الهيئة السياسية في مصر؛ وقد ترتب على هذا الاختفاء التدريجي ظهور عناصر عسكرية أخرى، حلت محلها تدريجياً ووصلت إلى مجدها العسكري خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهو العقد الذي شهد حركة علي بك ضد الدولة العثمانية[3]، حيث شكل المقاومة الذين كان من ضمنهم ليبيين طائفة عرفت باسم طوائف الجند وتأتي أول الإشارة عن جند الطوائف في أحداث عام 26 جمادي الأول 1181 هـ/ 1767 حينما قال الجبرتي "وفي عشرين أفرج خلفهم أيضاً خليل بك تجريدة أخرى فيها ثلاثة صناجق وجاقلية وعشر مغاربة[4]؛ كما سجل الجبرتي بعد ذلك بعامين 1183 هـ / 1769 إشارة أخرى عن تجريدة لمحاربة المماليك الذين احتلوا مدينة أسيوط تتكون من أوجان عساكر مغاربة"[5].

وبالتالي كان اندماج الليبيين في العناصر العسكرية في مصر عاملاً مهماً في ازدياد هذه الهجرات إلى مصر.

---

(1) . الأوجاق وهي تركية ومعناها الموقد أو المدخنة ثم أطلق على كل ما تفتتح به النار فأطلق على البيت وما فيه من وبر أو مدر ثم على أهله ثم على الجماعة تتلاقى في مكان واحد ثم أطلق على الطائفة من طوائف أرباب الحرف وعلى صنف من أصناف الجند، أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، القاهرة، ط.1 ، 1987، ص 194.

(2) للمزيد حول الصراعات الدموية والضعف العسكري، انظر محمد رفعت رمضان، علي بك الكبير، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 13.

(3) يونان لبيب ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1918، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، د . ت، ص- ص 208-209.

(4) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم، الأخبار، ج1، مطبعة دار فارس، بيروت، ص314.

(5) عبد الرحمن الجبرتي، المرجع نفسه، ص376.

بالإضافة إلى ذلك فقد لعبت مصر دور المضيف لكل الهاربين من الأمراض لاسيما مرض الطاعون الذي انتشر في طرابلس سنة 1780، وسنوات القرط السبع التي سبقت المرض الأمر الذي ضاعف أعداد الموتى والمهاجرين[1].

كما استبقت مصر كل الوافدين إليها سواء كان طالباً للعلم والمعرفة أو طالباً للأمن واللجوء السياسي أو من يسعى لتحقيق المكانة الاقتصادية في مصر فقد برزت عدد من البيوت الليبية في هذا الشأن حيث حققت المكاسب بعد أن أحييت الطريق البري عبر الصحراء عندما اشتد خطر القراصنة في المحيطات، كذلك فإن الإدارة المصرية أتاحت للتجار الليبيين فرص لاستثمار أموالهم في كافة أوجه الاستثمار قبل شراء العقارات وتورثيها أو وقفها ورهن وشراء الأراضي وحق الانتفاع وتأجيرها وشراء الوكالات وغيرها[2].

والجدير بالذكر أن العلاقات المصرية الليبية بدأت تخطو خطواتها الأولى نحو الدبلوماسية الحديثة بشكل واضح، فقد أرسل علي باشا في أواسط جمادي الثاني 1181 هـ/ 1771م سفيراً إلى مصر وتم تعيينه يازجي[3] لتجار طرابلس في الإسكندرية[4].

وقد تكون العوامل الاجتماعية سبباً في هجرات العديد من الأسر الليبية إلى مصر حيث تشابه العادات والتقاليد مما شجع على الاندماج بسهولة ويسر داخل المجتمع المصري دون أية عقبات[5].

---

[1] أحمد صدقي الدجاني، أحاديث عن تاريخ ليبيا الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دار المصري، للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، ص93.

[2]عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق عن تاريخ المغاربة الاقتصادي من خلال سجلات المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، العدد12، 1980، ص 180.

[3] يازجي، كلمة تركية تعني الذي يكتب أو يرسم ومعناها الموجه أو المخطط الذي يدير أمور التجارة، انظر G.Zenber turkisch Arabisch-Persisches wofter buch Hildeshein,1979.P.950.

[4] عبد الحميد حامد سليمان، تاريخ الموانى المصرية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص ص 425-426.

[5] عبد الرحيم عبد الرحمن، تاريخ الأزهر في ألف عام، مكتبة الصحافة الدولي، القاهرة، يوليو، 1968م، ص344.

ويبقى حب العلم عاملاً أساسياً يشد الليبيين إلى مصر حيث وجد عدد كبير منهم داخل الرواق المغاربي في الأزهر أهم المنابر العلمية في مصر في تلك الفترة فتطلب ذلك احتكاكاً لصيقاً مع زملائهم من مصر وناقشوا قضايا فكرية وفقهية واجتماعية ورأى الليبيون في الأزهر القوة الروحية العالية وتفرد الأزهر دون سائر المساجد الجامعة ليتصدرها علماء المغرب العربي في العودة إلى أحضانه كمربي ومعلم وأستاذ وداعية كبير.

كما تنوعت الأسباب التي كانت تحدو للقيام بالرحلات منها بعد الديار الليبية في الغرب عن الشرق والحجاز مهد الحضارة ومهبط الوحي وكان جل من يقصد البلاد الحجازية من الأدباء والعلماء يشعر بوجوب إطلاع مواطنيه وأهله على إخبار تلك البلاد والبقاع المقدمة فيها التي يهفوا إليها كل مسلم لما تربطه بها من روابط روحية ودينية، ومن أسبابها ولوع الليبيون بشكل عام للتجوال والسياحة وإرتيادهم لأقاصي البلاد.

كما أن العوامل الجغرافية الطبيعية وتشابهها مع جمال الطبيعة في ليبيا وما تتمتع به مصر من أماكن أثرية وسياحية من الثوابت التي استقطبت الليبيين إليها.

بالإضافة لما عرف عن الليبيين من حب لأضرحة الأولياء في مصر وذكر فضائلهم وكرامتهم، والرحلات المؤلفة في هذا الموضوع تعتبر من أهم المصادر عن تاريخ الحياة الدينية لاسيما الطرق الصوفية[1].

ومن هنا يمكن القول أن الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها البلاد الليبية والتي أثرت على وضعية البلاد وجعلت الكثير منهم يتجه إلى بلدان المشرق ويستقرون فيه لممارسة نشاطهم بحرية تامة دون قيود فبرع منهم التجار الحرفيون ونبغ العلماء وطبلة العلم في المدن المصرية وقراها.

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق، المرجع السابق، ص180.

ثانياً :الدور الاجتماعي لليبيين في مصر
1700 – 1800 م

أ – التأثيرات الاجتماعية لكبار التجار:

ضمت مصر عدداً من كبار التجار الذين ينتمون إلى بيوت وأسر تجارية عريقة لعبت دوراً جوهرياً في تفعيل الحركة الاجتماعية بشكل إيجابي داخل بنيان المجتمع المصري، حيث ظهر كبار التجار مع بداية العقد الثالث من القرن السادس عشر ونجحوا في الوصول إلى قمة السلم التجاري بفضل المهارة التي اكتسبوها بالوراثة أولاً من الأسر المشهورة التي سبقتهم في هذا المضمار وثانياً عن طريق الممارسة المستمرة واكتساب الخبرة؛ الأمر الذي جعلهم مؤهلين لعقد الصفقات التجارية الضخمة ومع استمرار نجاحهم التجاري بدأت أسماؤهم بارزة كافة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ومن خلال استقراء الوثائق نلاحظ تمييزهم عن غيرهم بإضافة ألقاب التفخيم إلى أسماؤهم كدليل على نشأتهم في المجالين الاجتماعي والتجاري، وقد لقب التاجر بالخواجا وبفخر التجار الخواجيكية التجار؛ أما لقب الشاه بندر فهو لقب فارسي

الأصل ومعناه ملك التجار وكان يطلق على أكبر التجار من ناحية المكانة التجارية أو الوجاهة الاجتماعية[1].

وقد برزت كثيرٌ من العائلات والبيوتات الليبية والتي ظهر دورها الاجتماعي في مصر وأقامت علاقات اجتماعية سواءً بالهيئة الحاكمة المتمثلة في الإمكانيات العسكرية أو الأمراء المماليك أو القضاة أو المحتسبون أو من العلماء وأهل الذمة اليهود والنصارى والأوروبيون والرقيق وغيرها من طوائف المجتمع الأخرى.

ولعل أبرز البيوت الليبية والمعروفة بتراثها التجاري ومشاركتها في الحياة الاجتماعية هي:

1ــ بيت الناضوري:

وفدت هذه الأسرة من ليبيا واستقرت في الإسكندرية وبرز منهم الحاج عبد القادر بن أحمد الذي عمل وكيلاً لأخويه سالم وأحمد في مصراته وقد شمل نشاط هذه الأسرة شرق البحر المتوسط[2] وعند وفاة الحاج عبد القادر ترك لولده فتح الله أموالاً ضخمة وتركة تقدر 200.000 بارة[3]، وقد أصبح من أهم تجار الإسكندرية خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، كما لعب فتح الله الناضوري دوراً رئيسياً في العلاقات التجارية بين مصر واسطنبول، حيث كان عمه أحمد يرسل إليه الدخان الذي أصبح سلعة مطلوبة في الأسواق المصرية والأقمشة والأخشاب، وكان فتح الله يرسل إليه البن والأرز وغيرها من السلع[4]، وقد ظلت هذه الأسرة تلعب دوراً تجارياً مهماً في تاريخ مصر طوال القرن الثامن عشر.

2ــ بيت سعيد بن سالم الزواوي الطرابلسي:

---

[1] الخواجا: كلمة فارسية تطلق على أكابر التجار ومعناها رب البيت والتاجر الفني والخواجكي، بزيادة الكاف نسبة إلى المبالغة، انظر رفعت موسى محمد الوكلات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الدار اللبنانية، القاهرة، 1993م، ص155.

[2] دار الوثائق القومية، القاهرة، سجلات الإسكندرية الشرعية، سجل 53، م 3087 بتاريخ 1049 هـ/ 1739م، ص137.

[3] نفس المصدر، ص67، 98 بتاريخ 1133 هـ/ 1720م، ص ص 65-66.

[4] نفس المصدر، س 65، م 381 بتاريخ 1130 هـ / 1717م، ص 205.

وفدت إلى مصر عائلات طرابلسية كثيرة واستقرت أعداد كبيرة منهم في الإسكندرية وساهمت بدور كبير في إعمار المنشية[1] كذلك تواجد الطرابلسيون في القاهرة، خاصة في منطقتي طولان وبولاق وقد شكل الطرابلسيون حلقة وصل بين تجارتي مصر وليبيا، وتمثل النشاط الرئيسي للطرابلسيين في زيت الزيتون، حيث سيطر الطرابلسيون على عمليات توزيعه في كل الأقاليم المصرية[2]، ومن بين الأسر التجارية نجد الخواجا سعيد بن سالم الزواوي الطرابلسي الذي مارس عمليات تصدير زيت الزيتون إلى الحرمين الشريفين واشتغل كرئيس للتجار بوكالة الزيت ببولاق مصر وحقق ثروة كبيرة له ولأسرته[3]، وقد ساهمت هذه الأسرة الطرابلسية بتزويد المدن الليبية بالأرز والأقمشة القطنية المصرية ثم انتقلت هذه الأسرة من الإسكندرية إلى بولاق وقامت بشراء وكالتين في الثغر من أجل تحقيق طموحاتهم التجارية[4].

وهكذا يمكن القول أن المدن المصرية لم تخلُ من العائلات الليبية التي مارست أعمالها داخل هذه المدن سواء من التجار أو من الطبقات العادية في المجتمع المصري والتي اختارت من المواقع الهامة داخل إطار هذه المدن نقطة انطلاق لنجاح أعمالها التجارية والحرفية، ومن هنا كانت مشاركتهم نشطة وواضحة في التركيب الاجتماعي، والعمراني الذي شهدته مصر خلال القرن الثامن عشر.

ب – القبائل الليبية في مصر خلال القرن الثامن عشر

يقال أن القبائل التي قدمت إلى مصر كانت معظمها قبائل عربية أتت مع الفتح الإسلامي، ثم هاجرت إلى المغرب العربي، وعادت إليها مرة أخرى؛ وذلك نتيجة لعوامل الجذب والطرد[5]، حيث كان هناك قبائل تنتمي في أصولها إلى العربية

---

(1) عوض عوض محمد الإمام، مسجد الحاج إبراهيم تربانة بالإسكندرية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، العدد 15، 1994م، ص177.

(2) الإسكندرية الشرعية، س99، م 438 بتاريخ 1197 هـ/ 1782 م، ص331.

(3) بولاق الشرعية، س 64، م 512 بتاريخ 1130 هـ/ 1717م، ص 201.

(4) القسمة العسكرية، س 185، م 366، بتاريخ 1184 هـ/ 1770م، ص209.

(5) دي بواى . إيميه، وصف مصر، القبائل في صحراوات مصر، ترجمة زهير الشاين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، د.ت، ج2، ص171.

وأخرى بربرية[1]، وقد استمر مجيء القبائل في العصر العثماني وأتيح لها فرصة الاستقرار في مناطق الريف المصري لمن أراد من هذه القبائل، بينما أثرت بعض هذه القبائل حياة الترحال والتجوال بين أنحاء هذا الريف، وفي قراه وعلى أطرافه من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن أقصى غربه إلى أقصى شرقه وقد كان للقبائل الليبية دوراً كبيراً في حياة الريف المصري، وكان لهذا الدور تأثيره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال القرن الثامن عشر.

وتشير بعض المعلومات المعاصرة لفترة الدراسة أن القبائل الليبية توزعت في أرجاء البلاد المصرية وأصبح لها وضعها على الخريطة داخل الريف المصري، فبينما قدر لبعض القبائل الاستقرار في مناطق الريف المصري، ظلت قبائل أخرى غير مرتبطة بالأرض أو بمنطقة معينة ووجدت سبيلها في هذا النوع من الحياة.

ومن المهم أن نشير إلى أنه خلال فترة الدراسة لم تكن هناك إحصاءات علمية يقينية تبين الحجم العددي لكل طبقة من طبقات السكان بالريف . أو حتى المدينة . في ذلك الوقت، وكل الإحصاءات التي ذكرتها المصادر المعاصرة عن سكان مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر جاءت خاصة بسكان مصر عامة دون تمييز بين سكان الريف والمدينة.

وعلى هذا الأساس فإن هناك صعوبة في البحث في موضوع التركيب الاجتماعي لسكان الريف من حيث أوضاعهم الاجتماعية وطبقات المجتمع ورصد أحوال هذه الطبقات والعلاقات التي كانت قائمة بينها.

وإعتماداً على ما لدينا من مصادر[2] يتضح أن فئات السكان التي تتكون منها طبقته الاجتماعية بالمعنى الواسع هي الفلاحون، والقبائل العربية سواء المستقرة

---

[1] الالتزام، نظام مطور للقطاعات، كانت الدولة العثمانية قد وجدته مطبقات في بعض البلاد التي خضعت لها في الأناضول، فأبقت عليه، حيث أثبت نجاحه، وهو نظام لا يخضع لوظيفة تابعين للحكومة، بتحصيل الضرائب المقررة على أراضي قرية أو أكثر من مدة معينة وذلك بناء على اتفاق بين هذا الشخص الذي أصبح رسمياً، يحمل لقب ملتزم بين الروزنامة نيابة عن الحكومة، انظر عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، ط 2004، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ص94.

[2] . عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، ط 2004، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ص96.

أو المتجولة في داخل الريف أو على أطرافه، بالإضافة إلى فئة قليلة جداً من المماليك والأتراك اقتضت ظروف الإدارة ونظام حيازة الأرض وجودها في الريف، وتتمثل هذه الفئة في الجند الموكل إليهم حفظ الأمن وتنفيذ أوامر السلطات الحاكمة، هذا إلى جانب حكام الولايات والكاشفيات والجهاز الإداري التابع لهم، وقضاة النواحي بالإضافة إلى الملتزمين الذين كانوا ينتمون إلى هذه الفئة وعاشوا في مناطق حصص التزاماتهم[1].

ومن أهم هذه القبائل العربية الوافدة إلى مصر من ليبيا في تلك الفترة قبيلة أولاد علي التي استقر الجزء الأكبر منها في البحيرة وجزء آخر منهم في منطقة الشرقية، وكانت هذه القبيلة تمثل البدو الرحل الذين يعيشون على الرعي والسلب والنهب وقد تقاسمت كل من قبيلة أولاد علي وقبيلة الهنادي المصرية النفوذ في المناطق التي استقروا فيها، وقد بلغ تعداد قبيلة أولاد علي في القرن الثامن عشر 1344 نسمة وفيهم أربعة وعشرون شيخاً وينتسب أولاد علي إلى علي بن عفان بن الذئب وتنقسم إلى ثلاثة فروع أولاد علي الأبيض وهم آل خروف والصنافرة وثانيها أولاد علي الأحمر وهم القناشات والعشيبات والكميلات وثالثهما أولاد بوسنينة وهم القطيفة والمحافيظ والعراوة[2].

بالإضافة إلى القبائل الأخرى التي لعبت دورها المتميز داخل الريف المصري، ومنها قبائل السعادي نسبة إلى امرأة تسمى سعدى من زناتة بنت عظيم من عظمائهم وتزوج بها زعيم سليم في تلك الفترة المدعو أبو الليل وهؤلاء كانوا يسكنون بين قصر سرت في ليبيا غرباً وعقبة السلوم شرقاً وقد قسم أولاً سعدي إلى ثلاث قبائل براغيث وعقاقرة وسلالمة.

أما السلالمة أو بنو سلام فهم ثلاث قبائل تسكن الآن جميعاً في مصر وهم الهنادي، وبن عون والجبالية، وقد نزلوا القطر المصري من طرابلس الغرب في القرن الثامن عشر؛ والعقاقرة أو بني عقار قبيلتان الأولى أولاد علي وسبق الإشارة إليها ثم

---

[1] أحمد لطفي السيد، قبائل العرب في مصر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936م، ص21.

[2] أحمد لطفي السيد، المرجع نفسه، ص21، وانظر صلاح أحمد هريدي, الصعيد في العصر العثماني، عين الدراسات والبحوث الاجتماعية، الإسكندرية، ط1، 2006م، ص162.

الحرابي وهؤلاء ضمن بطون العبيدات والدرسة والحاسة والبراعصة بالجبل الأخضر، وفريق آخر استقر في مصر وآخر في طرابلس والبراغيث خمس قبائل، العرمة أولاد عريف بليبيا، والفوائد في مصر والرماخ أغلبها في مصر والعبيد في المرج بليبيا والجبارنة أولاد جبريل، وهم ثلاث العواقير، الجوازي، المغاربة، تلك هي أهم قبائل سليم التي سكنت مصر وأول مجيء لهذه القبائل في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي كما يسجل لنا أحد علماء الحملة الفرنسية عند زيارته لعرب طه المصراتي أن الأسلوب الأمثل الذي اتبعه شيخ هذه القبيلة في توزيع المياه على الأراضي بطريقة عادلة والاعتناء بالسدود وجعل فلاحيها ينعمون بالعيش في مناطقهم وبشكل أفضل مما في المناطق الأخرى[1].

هكذا كان دور القبائل التي تواجدت في الريف المصري مزيجاً من الإيجابية والسلبية ففي الوقت نجد بعضها قد فرض حمايته على مناطق الريف التابعة له وجعلوا الأمن والاستقرار يسود هذه المناطق كقبيلة طه المصراتي، إلا أنهم في مناطق أخرى نجد العربان أوقعوا كثيراً من الظلم الاجتماعي بسكان الريف وعدوا أنفسهم أعلى من أهل البلاد قدراً وأرفع منزلة، حتى أن أهالي هذه القرى نتيجة لخوفهم من هؤلاء العربان، أصبحوا أكثر خضوعاً لظلمهم وأقل خضوعاً لقوانين البلاد فمثلاً شكل العربان المغاربة مصدر ازعاج دائم لأمم السفن العاملة في البحر الأحمر والمتوسط عند اقترابهما من الشاطئ ففي سنة 1114 هـ/ 1712 م نهب العربان المغاربة مركب الزفتاوي[2] عند اقترابه من الشاطئ قبل وصوله إلى السويس وسلبوا منها سبع مائة وخمسين رطلاً من البن وأخذوا جميع آلاتها من كان فيها من الرجال[3].

وفي هذا ما يكفي للدلالة على مدى الدور الذي لعبه العربان المغاربة باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من القبائل الليبية في مصر في حياة الريف المصري.

---

[1] جومار، وصف مصر، المرجع السابق ج2، ص ص 223، 224.

[2] أحمد شلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987م، ص 341.

[3] أحمد شلبي عبد الغني، المرجع السابق، ص 341.

ج. العادات والتقاليد:

من المظاهر اللافتة للنظر عند الليبيين تلك التي تختص بحياتهم اليومية، وحيث أن المجتمع المصري امتص كل الوافدين إليه على اختلاف عقائدهم وأجناسهم وعاداتهم وتقاليدهم وانصهر الجميع في بوتقته، نجد أن الليبيين من ضمن هؤلاء الوافدين الذين اختاروا مصر وطناً دائماً لهم، إضافة إلى عدم وجود فواصل في اللغة والدين وكذلك الامتداد الجغرافي الواحد، كل ذلك ساهم في إقامة علاقات اجتماعية متشابهة وأصبحت العادات والتقاليد قاسماً مشتركاً بين الليبيين والمصريين خاصة في المظهر العام من عادات الزواج والطلاق والختان والوصايا وتسجيل الأولياء والمراسم الجنائزية واحترام رجال الدين والعلماء والاحتفالات الدينية الأخرى، بالإضافة إلى ملامح البيت الليبي في الداخل، لذلك من غير المستغرب أو المستحيل أن لا تكون لليبيين عاداتهم الاجتماعية في مختلف النواحي وأن يشاركون في مثل هذه المظاهر إخوانهم المصريين.

فعند الحديث عن التزاوج والتصاهر من خلال استقراء السجلات الخاصة بعقود الزواج والطلاق وكذلك دفاتر التركات، التي خلفها الليبيون والمقيمون في المدن المصرية تثبت أن الجالية الليبية لم يكونوا منغلقين اجتماعياً، فإلى جانب علاقة أبناء مصر فيما بينهم نجد أن علاقة الليبيين فيما بينهم أيضاً تربطها العلاقات الاجتماعية، وأصبحت ظاهرة التزاوج بين الليبيين من مصريات وشاميات بصورة واسعة وكذلك تزويج بناتهم لمصريين وشاميين[1].

على أن الانفتاح المغربي عامة على المجتمع كانت تتفاوت حسب زمن وصول العائلة إلى مصر، ومع مرور الوقت تمتزج العلاقات ويصبح الزواج من غير المغاربيات والتصاهر مع عائلات مصرية أو شامية أو تركية تتكافأ مع نفس المكانة الاجتماعية والاقتصادية للمغاربة عامة والذين كان من ضمنهم ليبيون[2].

---

[1] عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر، المرجع السابق، ص 63.

[2] القسمة العسكرية، س211، م404، بتاريخ 1199 هـ/ 1784، ص85.

كما لوحظ أن الليبيون تزوجوا من الأرامل والمطلقات، حيث نجد أحد الليبيين ويدعي أحمد بن علي الطرابلسي تزوج من أرملة بمقدم صداق عشرة قروش والمؤخر ثلاثون قرشاً مقسطة على عشر سنوات تدفع ثلاث قروش سنوياً[1].

ويبدو أن الحالات التي تزوج أصحابها من الأرامل والمطلقات كان الهدف من ورائها الاستفادة المالية بالإضافة إلى الحفاظ على أملاك العائلة الواحدة؛ حتى لا يتسلل شخص غريب من طريق الإرث، كما لوحظ زواج الأقارب لنفس الأسباب، فقد تزوجا أبناء العم أعمامهم وهن ما يزلن قاصرات فمثلاً نجد مسعودة بنت أحمد بن مسعود ثابت الطرابلسي كان عمرها عشر سنوات عند عقد قرانها[2]، وهو ما يوضح رغبة الآباء في الحفاظ على ثرواتهم من خلال زواج الأقارب.

وهكذا أصبحت عملية التزاوج أحد المظاهر المهمة التي زادت من قوة الاندماج الاجتماعي لأبناء الجالية الليبية رغم أن هذا الزواج له مظهرين الأول إيجابي حيث المحافظة على نمط الأسرة الليبية وعاداتها والثاني سلبي وذلك بظهور بعض التصدعات الأمر الذي من شأنه تتجه الأرامل والمطلقات للزواج من الأمراء والحكام لاسيما وأن ذلك تزامن مع أحداث الأزمات السياسية والاقتصادية التي ميزت مصر في تلك الفترة.

ومن البديهي أن تحدث حالات الطلاق حينما تتعثر العلاقة الزوجية ولكن الوثائق لم توضح أسباب الطلاق في المجتمع، لاسيما أن هذا المجتمع في معظمه كان قائماً على أسس دينية لا تبيح ذكر هذه الأسباب بوضوح، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالأمراض الجنسية أو العقم أو الأخلاق وغيرها.

وتسجل أكثر الوثائق حالات الطلاق من نوع الخلع، أي أن الزوجة كانت تطلب الطلاق بسبب غياب الزوج وكثرة أسفاره خاصة النساء اللاتي تزوجن من التجار الليبيين في الاسكندرية، إذ كانت حياة التجار وتنقلهم بين منطقة وأخرى تطول أو تقصر حسب ظروف كل تاجر فتضطر المرأة إلى طلب الطلاق خاصة

---

[1] الاسكندرية الشرعية، مضبطة رقم (1)، مخزن 96 بتاريخ 1130 هـ . 1717م، ص58.

[2] بولاق الشرعية، س53، م 473 بتاريخ 1182 هـ/ 1771م، ص 253 .

إذا تركها زوجها بدون نفقة، فمثلاً ترك المدعو أحمد بن شيشكو التاجوري زوجته بدون نفقة حينما تم أسره في مالطا خمس سنوات سنة 1184 هـ/ 1771م[1].

وكان من حق الزوجة التي خلعت عن زوجها بسبب الغياب عنها وعدم النفقة عليها أن تأخذ من زوجها أو حتى من تركته حق النفقة عليها طوال المدة التي غاب عنها ومؤخر صداقها[2].

وقد كان للمرأة الليبية دور فعال داخل البيت الليبي، حيث كان على النساء مسؤولية تربية الأبناء وكانت لهن التزامات اجتماعية أخرى كالزيارات العائلية و الإعداد لاستقبال الضيوف، ويبدو أن خروج المرأة كان قليلاً وللضرورة، فمثلاً كن يخرجن لزيارة الأقارب أو بيع أو شراء أية ممتلكات خاصة بهن[3]، أو يخرجن للمحاكم الشرعية لأخذ حقوقهن التي فرضها الله لهن، كحق السيدة زينب وغيرها من أضرحة الصالحين، خاصة أن المغرب العربي كان من السباقين في نشر ظاهرة التصوف وهذا ما أكده الجبرتي عندما ترجم للعديد من العلماء الليبيين وغيرهما من التجار والعلماء الصوفية[4].

وكان للبيت الليبي أطعمته الخاصة به، فقد اعتمد الليبيون عادة في مأكلهم على نتيجة الأرض من حبوب أو ما تعطيه الحيوانات من لحوم وحليب، ومن أهم الأطعمة المعروفة عند الليبيين الكسكسي، والبازين وقد وصفه لنا العديد من الرحالة المغاربة أمثال الحسن بن محمد الوزان وغيرهم بأنه الغذاء الرئيسي للمغاربة الطرابلسيين[5]، وهي تصنع من دقيق الشعير والقمح وقد يضاف إليها السمن والعسل أو بإضافة طبيخ الطماطم[6] ويعتبر الليبيون هذه الأطعمة من تراث بلادهم.

---

[1] الاسكندرية الشرعية، س187، م331، بتاريخ 1184 هـ/ 1770م، ص 420.

[2] القسمة العسكرية، س17، م306، بتاريخ 1177 هـ/ 1763، ص 219.

[3] نفس المصدر، س 212، م596 بتايرخ 1200هـ / 1785م، د. ص.

[4] عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مطبوعات مكتبة مدبولي، القاهرة، 1977م، ج3، ص375.

[5] عبد الهادي التازي، أمير مغربي في طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي، 1143 هـ/ 1731م، مطبعة فضالة، تونس، د. ت، ص41.

[6] سميرة عمر علي، دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 1989م، ص183.

حيث قال الشيخ إبراهيم باكير

خير الموائد عندنا البازين واللحم حولها ناضج سمين

فأقطع بكفيك قطعة من أصله أدلكها جيداً فتلين

حتى إذا اشتهى مرقاً فكل بالخمس من يمناك فهي تعين[1]

وقد تنوعت الأكلات التي وصفتها الحضارات المغاربية كالثريد الذي يتكون من خبز الشعير وحليب الماعز[2]، حيث يخلط الخبز بعد تقطيعه فتات ويسكب عليه الزبد وحليب الماعز وقد عرفت هذه الأكلة عند البرقاويين "أهل برقة" وتكون هذه الأطعمة طيبة المذاق إذا وجدت من يتقن طعمها بالإضافة إلى الأطعمة الليبية الأخرى كالدشيشة والمقطع والمردوم[3]، وغيرها من الأطعمة التي اعتمدت في أساسها على ما تنتجه الأرض أو ما تعطيه الحيوانات من لحوم وحليب وكما وصفت لنا الرحالة فقد أشاروا بحسن كرم أهلها ولطافتهم وسرورهم في استقبالهم لضيوفهم الغرباء.

كما أن الليبيين عاداتهم وتقاليدهم في ملبسهم أيضاً هي كثيرة ومتنوعة وهي من أبرز ما خلفه لنا ماضيهم الطويل والعريق، ويمكن أن نعطي فكرة موجزة عن أهم الملابس التي كان يرتديها الرجال والنساء الليبيات حيث تنوعت بتنوع طبقات المجتمع وطبائعه ومن أهم ألبسة الرجال.

. الحولي أو الجرد: وهو يطلق على الرداء الرجالي المستعمل سواء في الصيف أو الشتاء وهو القميص البلدي الذي يرتديه الرجال[4]، بالإضافة إلى ما يرتديه الرجال

---

[1] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 42.

[2] نقيب مون لايون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة مصطفى الهادي بو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1993،1م، ص32.

[3] سميرة علي فهمي، المرجع السابق، ص84.

[4] سالم شالابي، ألبسة على مشجب التراث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 1990م، ص11.

من أحزمة ملفوفة على الطوق بأنواع مختلفة من الملابس وعادة ما كان هذا الطوق خاص بالفرسان[1].

كما عرف الليبيون الطرابيش وهي نوع خفيف من أغطية الرأس ويتم تحضيرها يدوياً من الكتان أو القماش القطني وقد عملت العديد من الأسر الليبية في تجارة الطرابيش والطواقي المغاربية وتوريدها ما بين الاسكندرية وصفاقس عن طريق المراكب البحرية التي امتلكها التجار المغاربة خلال القرن الثامن عشر وقد برزت أسرة الزواوي في تجارة الأقمشة والزيت وكونوا لهم ثروة تجارية ضخمة في مصر ثم انتقلت هذه الأسرة من الإسكندرية إلى بولاق وقامت بشراء وكالتين في الثغر من أجل تحقيق طموحاتهم التجارية[2].

أما عن الملابس النسائية فهي تختلف باختلاف الظروف الملائمة في الأوقات الاعتيادية أو في المناسبات والأفراح وهي متنوعة منها اللحاف وهو ما تستر به المرأة الليبية كامل جسدها أثناء خروجها من البيت وقد أوردت توللي في كتابها الحديث عن ألبسة النساء الليبيات فوصفت كسوة الصدر التي تستعمل في الأفراح وتكون موشاة بالذهب عند الرقبة وهي مصنوعة من القطن الأرجواني المطرز تطريزاً فخماً بالإضافة إلى القفطان أو الفستان وهي تسميات تركية لقميص المرأة بمختلف تفاصيلها.

كما استعملت المرأة الليبية أغطية الرأس بحجم ما يقتضيه الدين الإسلامي، ومن أهم أغطية الرأس التي عرفتها النساء الليبيات الشمال وهو يحاك يدوياً على شكل منسوج مربع والطرحة فهي أيضاً خمار وحزام يطرح على الوجه، وعادة ما كان يستعمل عند خروج العروس لبيت الزوجية[3].

---

[1] ريتشارد توللي، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة عمر البدراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د.ت، ص56.

[2] القسمة العسكرية، س185، م 366، بتاريخ 1184 هـ/ 1770م، ص209.

[3] الآنسه توللي، عشرة أعوام في طرابلس (1783-173م) ترجمة عبد الجليل الطاهر، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، ليبيا، 1967م، ص109.

كذلك انتشرت ظاهرة التصوف هي الأكثر بروزاً في كل العادات والتقاليد التي نشرها الليبيون في مصر ونظراً لأن مصر تحتفظ في كثير من مدنها وتراثها بالعديد من الأولياء والأضرحة التي ينسب أصحابها إلى المغرب العربي، فقد تعود التجار المغاربة عموماً ومنهم الطرابلسيون خاصة المتصوفة منهم على إقامة الحفلات في منازلهم، ودعوة إخوانهم لحضورها.

وهكذا استطاعت الجالية الليبية الوافدة أن تلعب دورها الاجتماعي في نشر العادات والتقاليد والتأثير الاجتماعي على بنية المجتمع المصري الاجتماعية، وذلك نتيجة لاتساع دائرة علاقاتها الاجتماعية التي شملت كل الفئات ابتداءً من الأمراء والمماليك ورجال الدولة وأوجاقات الحامية أي الفئة الفقيرة المعدمة ومديد الإحسان إليها، وقد كان لهذا كله تأثيره المتبادل، مما قوى العلاقات الاجتماعية بين الولايات العربية ومصر خلال هذه الفترة.